قدح من الشـــاي

للكاتبة الإنجليزية كاترين مانسفيلد

[كاترين مانسفلد كاتبة انجليزية ولدت في نيوزيلندا في سنة ١٨٩٠ ثم سافرت إلى لندن حيث تلقت تعليمها وأتمت ثقافتها ثم بدأت حياتها الأدبية إلى أن ماتت في ١٩٢٣ .

واشتهرت الكاتبة بقصصها التي تعنى فيها بتحليل الشخصيات تحليلا قليلا دقيقاً في أسلوب لا يعرف الرحمة ولا الرأفة وإن كان يجمع في ظاهره بين الرقة والتهكم وبين العذوبة والمرارة

وفي هذه القصة تحليل الكاتبة لشخصية امرأة يتملكها الغرور وتتحكم فيها الغيرة حاولت القيام بمغامرة تظهر فيها بالكرم والعطف والحنان حتى تعارضت هذه الصفات الأخيرة مع غرورها وغيرتها فأقلعت عن مغامراتها وارتدت إلى طبيعتها الأصلية] .

لم تكن روزماري جميلة كل الجمال ، فلا تستطيع أن تعدها جميلة . قد تكون حلوة إذا فحصتها قطعة قطعة ... ولكن لما ذا تبلغ قسوتك إلى حد تقطيعها إربا ؟ فقد كانت في بيعة الصبا ، ذكية ، مطلعة ، عصرية ، أنيقة . وكانت حفلاتها ألذ مزيج من أبرز الشخصيات ... والفنانين — مخلوقات نادرة اكتشفتها بنفسها ...

وكانت روزماري متزوجة من رجل يحبها حباً شديداً ؛ وكان الزوجان غنيين كل الغنى ؛ فإذا أرادت روزماري أن تبتاع شيئا ذهبت إلى بازيس كما تذهب أنت وأنا إلى شارع بوند ، وإذا أرادت أن تشتري بعض الأزهار وقفت بها السيارة أمام أفخم المحال في شاوع ريجنت ، وقالت روزماري وهي في المحل بطريقتها المدهشة « أريد هذه المجموعة وهذه وهذه ، وأعطني أربع باقات من هذا النوع وأصيص الورد ذاك ... نعم سآخذ كل ما فيها . لا ... دع النرجس فنظره لا يروقني » .

فيحني العامل رأسه ويخفي النرجس عن النظر كما لو كان ماقالت عنه هو الحقيقة . ثم تتبعها إلى السيارة عاملة نحيلة تترنح بما على ذراعيها من باقة بيضاء تشبه طفلا في ملابسه الطويلة

ذهبت روزماري في يوم من أيام الشتاء لشراء شيء من محل تحف أثرية وكان يعجبها ذلك المحل لمبالغة صاحبه في التلطف في خدمتها ، فكان يشرق وجهه عند دخولها ويقبض يديه ويكاد لا ينطق من فرط احترامه لها وإعجابه بها . وكل هذا تملق طبعا .

وبدأ الرجل كعادته يشرح لها بصوت كله هدوء ، وحركات كلها احترام « إني أعتز بتحفي فأفضل ألا أبيعها أبدا على أن أبيعها لشخص لا يقدرها حق قدرها أو لشخص يفتقر إلى حاسة تذوق الجمال » ثم تنهد وأخرج علبة من القطيفة الزرقاء وضغطها على المائدة الزجاجية بأطراف أصابعه الشاحبة .

وما كان ليحتفظ لها بهذه العلبة الصغيرة التي لم يعرضها على أحد قبلها إلا لندرتها ودقة صنعها وبهاء صقلها .

وأخرجت روزماري يديها من القفاز الطويل لتفحص هذه العلبة التي أعجبت بها وأحبتها وصممت على اقتنائها ثم لا حظت جمال يديها على القطيفة الزرقاء وهي تفتح العلبة وتقفلها . وربما جرؤ البائع أن يلحظ هذه الملاحظة عينها في نفسه لأنه تناول قلما وانحنى على المائدة وزحفت أصابعه الشاحبة إلى تلك الأصابع الوردية المتوهجة وقال بلطف « لو سمحت لي سيدتي أن أريها الأزهار على غطاء العلبة » .

فأبدت روزماري إعجابها بالأزهار وتساءلت عن الثمن . بيد أن البائع لم يسمعها في اللحظة الأولى . وأخيرا طرق سمعها « ٢٨ جنيها يا سيدتي » .

« ٢٨ جنيها ؟ » لم تنبس روزماري ببنت شفة ووضعت العلبة ولبست قفازها « ٢٨ جنيها » حتى إذا كان المرء غنيا ؟ ... واضطربت روزماري وحلقت في أبريق شاي ضخم يعلو رأس الرجل وأجابت بصوت حالم « حسنا ، أيمكنك أن تحتفظ بها لي ؟ — سوف ... » .

ولكن البائع انحنى كما لو كان احتفاظه بها لها واجبا معروفا

وخرجت روزماري وأوصدت وراءها الباب وتأملت في الجو المطر ، وكان المطر يتساقط رذاذا وبدأ الظلام يخيم على الدنيا كالرماد المتهاوي ، واشتد البرد وبدت المصابيح المضاءة حزينة

وكانت الأنوار فى المنازل المقابلة معتمة تحترق كأنها تتحسر على فقد شيء، وكان الناس يتعجلون السير وقد شرعوا مظلاتهم .

وشعرت روزماري بألم غريب وضغطت بقفازها على صدرها وتمنت لو أن العلبة الصغيرة كانت معها لتتعلق بها أيضا . ثم نظرت إلى سيارتها التي كانت تنتظرها فى الشارع وفكرت فى الذهاب إلى المنزل لتناول الشاى .

ولكن فى لحظة تفكيرها فى ذلك جاءتها من حيث لا تدرى فتاة نحيلة قاتمة اللون وقفت قرب مرفقها وصدر منها صوت أقرب إلى الأنين منه إلى التنهد « أيمكننى أن أتحدث إليك لحظة يا سيدتى ؟ »

قالت روزوماري « تتحدثين إلى أنا ؟ » والتفتت لترى مخلوقا صغيرا مهدوما ذا عينين جاحظتين تتعلق يداه المحمرتان بياقة معطفها وترتعش كما لو كان قد خرج توا من الماء .

تلجلج الصوت وقال «سيدتى ! أسألك ثمن قدح من الشاى» .

« قدح من الشاى ؟ » ولما كان فى ذلك الصوت بساطة وإخلاص لا يجتمعان فى صوت شحاذ سألتها روزماري « إذن ليس معك نقود أبدا ؟ »

« أبداً ياسيدتى » .

«ياللعجب» وتنهدت روزماري وتطلعت إلى الظلام وحملقت الفتاة فى وجهها .

وفجأة تصورت روزماري مغامرة أوحت إليها بهاهذه المقابلة فى الظلام تشبه شيئا من رواية للكاتب العظيم دستوفسكى . لتفرض أنها صحبت هذه الفتاة إلى منزلها ؟ ماذا كان يحدث لو أنها عملت شيئا مما طالما طالعته فى الكتب ورأته على المسرح ؟ سوف يكون شيئاً رائعاً ... ثم خطت روزماري إلى الأمام وقالت للفتاة « تعالى إلى منزلى لتتناولى الشاى معى » .

فصعقت الفتاة لهذا العرض المدهش وارتعشت من شدة الاضطراب فمدت روزماري يدها ولمست ذراعها وقالت وهى تبتسم « إنى أعنى ما أقول » وشعرت بمبلغ بساطة ابتسامتها ورقتها فاضافت « ولم لا ؟ افعلى . تعالى معى فى سيارتى » .

أجابت الفتاة بصوت مفعم بالألم والحزن : « إنك لا تعنين ما تقولين يا سيدتى » .

فصاحت روزماري : « ولكنى جادة فأنا أريدك أن تفعلى أرجوك أن تأتى معى » .

وضعت الفتاة أصابعها على شفتيها وأنعمت النظر فى روزماري وتساءلت بصوت متلجلج « أتأخذيننى للبوليس؟ »

« البوليس ! ... ولماذا تبلغ قسوتى هذا الحد ؟ لا ، لا . فكل ما أريد هو أن أدفئك وأسمع منك أى شيء يهمك أن تقصيه على » .

ولما كان من السهل قيادة الجياع تبعت الفتاة روزماري إلى سيارتها .

وامتلأت روزماري بشعور النصر وكادت تقول « الآن ظفرت بك » وهى تحملق فى الأسيرة الصغيرة . ولكن ذلك لم يجردها من رقة شعورها وعطفها بل أرادت أن تثبت لهذه الفتاة أن أشياء عجيبة قد تحدث فى الحياة وأن للأغنياء قلوبا وأن النساء أخوات .

ثم التفتت روزماري مهتاجة قائلة « لا تخافى ولم لا تجيئين معى ؟ أنا امرأة مثلك وإن كنت أنا أيسر منك حالا . فعليك أن تنتظرى منى ... »

وفى تلك اللحظة وقفت السيارة لحسن حظها لأنها لم تعرف كيف تنهى هذه الجملة . ثم دق الجرس وفتح الباب ودفعت روزماري الفتاة إلى داخل الصالة بحركة لطيفة تكاد تكون عناقا وهى تقول :

« تعالى إلى الطابق الثانى . تعالى إلى غرفتى » وأرادت أن تحمى هذا المخلوق من نظرات الخدم فصممت وهما تصعدان الدرج على ألا تدق الجرس لخادمتها جان وعلى أن تخلع ملابسها بنفسها .

صاحت روزماري عندما وصلا إلى غرفة نومها الجميلة بستائرها المسدلة ووسائدها الذهبية وغارقها الزرقاء والنار تضيء ما حولها من أثاث فخم والأزهار تملأ الغرفة عبيراً حلوا : ها نحن هاتان !

لم تعبأ روزماري بوقوف الفتاة مذهولة على الباب وجرت مقعدها المريح نحو النار وصاحت « تعالى اجلسى على هذا المقعد المريح . تعالى ليدب الدفء إلى جسمك فيبدو عليك أنك تنوئين تحت وطأة البرد » .

قالت الفتاة وهى تتراجع إلى الوراء « أنا لا أجرؤ يا سيدتى »

فتقدمت روزوماری إلى الأمام وقالت : « أرجوك يجب ألا تخافى اجلسى . وعند ما أنتهى من خلع ملابسى سننتقل إلى الغرفة المجاورة لنحتسى الشاى . مم تخافين ؟ » ودفعت الهيكل النحيل فى مهده العميق .

ولم يصدر من الفتاة جواب ، بل بقيت كما أجلست ، يداها إلى جانبيها وفمها مفترح قليلا ، وإذا شئنا الإخلاص فى الوصف قلنا إنها بدت غبية . ولكن روزماری لم تعترف بذلك وانحنت عليها قائلة « ألا تخلعين قبعتك ؟ إن شعرك الجميل مبلل ويحس المرء كثيراً من الراحة وهو عارى الرأس ... أليس كذلك » .

تخلصت الفتاة القبعة البالية وهى تقول همساً : « حسناً ياسيدتى »

فقالت روزماری : « دعينى أساعدك على خلع معطفك عنك أيضاً »

فوقفت الفتاة ولكنها أمسكت المقعد بإحدى يديها وتركت روزماری تنزع عنها المعطف ؛ ولكنها تذكرت أنه إذا رام الناس المون فعليهم أن يضحوا ولو قليلا وإلا تعذر المون فى الحقيقة . وماذا كانت تفعل بالمعطف الآن ؟ تركته على الأرض مع القبعة .

ولما همت بتناول سيجارة من علبتها المعدنية قالت الفتاة بسرعة ولكن بخفة وضراعة « معذرة يا سيدتى ، لا سينشى على سأموت إن لم آخذ شيئاً ياسيدتى »

« يالله ! كم أنا طائشة » وأسرعت نحو الجرس « شاى ! شاى بسرعة ! وقليل من الكنياك فى الحال »

وكانت الخادمة قد مضت ولكن الفتاة كادت تصيح « لا ، لا أريد خمراً فأنا لا أشربها أبداً . إنه قدح من الشاى الذى أريد ياسيدتى » ثم انفجرت فى البكاء .

كانت لحظة مؤلمة ساحرة . جثت روزماری بجانب مقعدها وقالت « لا تبك أيها الشىء الصغير الضعيف . لا تبك » وقدمت إليها منديلها الحريرى ولفت ذراعها حول تلك الأكتاف العصفورية النحيلة .

وأخيراً نسيت الفتاة الخجل ، نسيت كل شىء إلا أن كلتيهما امرأة فقالت « لا أستطيع الاستمرار على هذه الحال . لا أحتمل . سأموت جوعاً »

« لن تموتى جوعاً فساعنى بك . لا تبكى . ألا ترين كم كان جميلا أنك قابلتينى . سنحتسى الشاى معاً وستخبرينى بكل شىء وأعدك أن أدبر لك أمرك أرجو أن تكفى عن البكاء لأنه شىء مضن »

وكفت عن البكاء عندما وقفت روزماری قبل حضور الشاى لتضع المنضدة بينهما . ثم زودت المخلوق الصغير الضعيف بكل شىء ، جميع أنواع الشطائر والخبز والزبد ، ولما فرغ قدحها ملأته لها بالشاى والحليب والسكر فطالما قال الناس إن السكر منعش جداً . أما روزماری نفسها فلم تأكل بل كانت تدخن وتنظر للخارج عمداً حتى لا تخجل الأخرى .

وفى الحقيقة كان مفعول تلك الأكلة الخفيفة عجيباً . فلما حملت منضدة الشاى خارجاً كان يتمدد على المقعد إنسان جديد ، مخلوق خفيف ضعيف ذو شعر مجعد وشفاه قاتمة وعيون غائرة مضيئة ، كان يتمدد هذا المخلوق فى نوع من الاسترخاء الحلو ناظراً إلى اللهب متأملا فيه .

وأشعلت روزماری سيجارة جديدة وبدأت حديثها بكل لطف « ومتى تناولت آخر أكلة ؟ » ولكن فى تلك اللحظة تحرك مقبض الباب وسمع صوت من الخارج « روزماری ! أيمكننى الدخول ؟ » كان هذا زوجها فيليب .

أجابت روزماری « طبعاً »

دخل فيليب ووقف محملقاً بضع لحظات ثم قال « إنى آسف لأزعاجكما »

« لا داعى للأسف فكل شىء على ما يرام « هذه صديقتى الآنسة ... »

« سميث ، ياسيدتى »

قالت روزماری « سميث وسنتجاذب أطراف الحديث لمدة قصيرة »

قال فيليب « حسنا » ، ولمح بصره المعطف والقبعة على الأرض ، ثم اتجه نحو النار وأدار ظهره إليها « إنه مساء كئيب »

قال ذلك بغرابة مصوباً نظره نحو الشبح المتغافل ثم انحنى نحو روزماري ثانية .

فقالت روزماري بلهجة غير عادية « نعم . أليس كذلك ؟ »

فابتسم فيليب ابتسامته الساحرة الساخرة وقال لزوجته « في الحقيقة أود أن تجيئي إلى المكتبة لحظة . هل تسمح لنا الآنسة سميث ؟ »

فحدقت العينان الكبيرتان الغائرتان في فيليب ولكن روزماري أسرعت وأجابت عنها قائلة « طبعاً تسمح » ثم خرجا من الغرفة معاً .

ولما انفردا قال فيليب « وضحي لي من هي ، وما معنى كل هذا ؟ »

فاستندت روزماري إلى الباب وهي تضحك قائلة « التقطتها من الشارع . سألتني ثمن قدح من الشاي فأحضرتها معي إلى هنا » .

فصاح فيليب « ولكن بالله عليك ما ذا أنت فاعلة بها ؟ »

فقالت « كن لطيفاً معها » كن رقيقاً إلى أقصى حد ... اعتن بها لا أعرف كيف ... لم نتحدث بعد ... لم نتحدث بعد .. ولكن أظهر لها — عاملها — أجملها تتمر — »

أجاب فيليب « ياطفلتي العزيزة ! أتعرفين أنك مجنونة تماماً ! إن هذا الذي تطلبين شيء يستحيل عمله »

فأجابت روزماري « كنت على يقين من أنك ستقول ذلك ولكن لم لا ؟ إني أريدك أن تعمله ؟ أليس هذا سبباً ؟ وعلاوة على ذلك يقرأ المرء دائماً عن هذه الأشياء فصممت — »

فقال فيليب ببطء وهو يقطع طرف سيجاره « إنها حلوة للغاية »

« حلوة ؟ » ودهشت بل حنقت روزماري لدرجة أن وجهها احمر وقالت « أتظن ذلك ؟ أنا — أنا لم أفكر في ذلك »

فأشعل فيليب ثقاب كبريت وقال « إنها رائعة الجمال . انظري ثانياً ياطفلتي لقد اهتزت مشاعري لما دخلت حجرتك الآن . وعلى كل حال ... أظنك تخطئين خطأ كبيراً . إني آسف ياعزيزتي إن كنت أبدو وقحاً أو ما شابه ذلك ولكن عرفيني هل ستتناول الآنسة سميث طعام العشاء معنا في أثناء مطالعتي جريدة المساء ؟ »

قالت روزماري « يالك من مخلوق ماجن عابث ! » وخرجت من المكتبة ولكن لم تعد إلى حجرة نومها بل ذهبت إلى مكتبها . وهي تردد : « حلوة ! رائعة الجمال ! اهتزت مشاعري ! حلوة ! جميلة ! »

أخرجت روزماري دفتر شيكاتها ، وغني عن القول أنه لا قيمة للشيكات في هذه الحال . ففتحت درجاً وأخذت خمسة جنيهات ونظرت إليها وردت منها اثنين ثم رجعت إلى غرفة نومها ممسكة بالثلاثة الباقية في يدها .

وبعد نصف ساعة كان فيليب لا يزال في المكتبة لما دخلت روزماري وهي تقول وقد استندت إلى الباب ثانية ونظرت إليه بتفرسها الدهش المصطنع : « إن الآنسة سميث لن تتناول طعام العشاء معنا هذا المساء »

فوضع فيليب الجريدة جانباً وقال « آه ! ما الذي حدث ؟ موعد سابق ؟ »

فجاءت روزماري وجلست على ركبتيه وقالت « أصرت على الذهاب فأعطيتها منحة مالية . لم أستطع أن أبقيها برغم إرادتها » ثم أضافت بلين « لا كنت أستطيع أن أفعل »

وكانت روزماري قد سوت شعرها تواً وكحلت عينيها قليلاً وتحلت بجواهرها فبدت رائعة الجمال عندما رفعت يديها ولمست خدود فيليب وقالت « أتحبني ؟ »

فأعجبته نعومتها الحلوة ولكن أزعجه صوتها الأجش فقال « أحبك حباً عنيفاً » وضمها إلى صدره « قبليني يا روزماري »

ثم سادت جو الحجرة فترة سكون قطعتها روزماري بصوت حالم « رأيت علبة صغيرة فاتنة اليوم ثمنها ٢٨ جنيهاً أتستطيع شراءها ؟ »

فأجابها فيليب « تستطيعين أيتها الصغيرة المبذرة »

ولكن لم يكن ذلك ما أرادت أن تقوله روزماري في الحقيقة فإنها همست في أذن زوجها وضمت رأسه إلى صدرها وقالت « هل أنا جميلة يا فيليب ؟ »

بولس عبد الملك

بمعهد الصحافة بالجامعة الأميركية

إدارة البلديات العامة

تقبل العطاءات بإدارة البلديات العامة (بوستة قصر الدوبارة) لغاية ظهر يوم ٢٨ / ٩ / ١٩٤٦ عن توريد أدوات لاستراحات المحاش

وتطلب الشروط والمواصفات الخاصة بذلك من الإدارة على ورقة دمغة فئة الثلاثين مليما مقابل مبلغ ٥٠٠ مليم للنسخة الواحدة عدا أجرة البريد ٥٨٩٩ -

وزارة الأوقاف

تشهر عن بيع ١٢ جاموسة مسمنة بجلسة يوم الإثنين ٢٣ / ٩ / ١٩٤٦ بالشروط الموجودة بتفتيش أوقاف البحيرة تليفون رقم ٨١ دمنهور ..

والوزارة مستعدة لعمل التسهيلات اللازمة للمشترين .

١٢٩

سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

دليل تليفونات القاهرة طبعة مارس سنة ١٩٤٧

يمكنكم أن تحجزوا الأماكن التى تختارونها للاعلان عن أعمالكم فى دليل تليفونات القاهرة الذى سيصدر فى شهر مارس سنة ١٩٤٧ .

والإعلان فى الدليل المذكور له مزايا خاصة إذ يتجدد كل يوم طوال مدة سريان الطبعة ويتداوله الآف المشتركين وبه أماكن خالية تستطيعون إستئجارها بأسعار زهيدة .

ولزيادة الإيضاح اتصلوا : — بقسم النشر والإعلانات بالإدارة العامة — بمحطة مصر .

[طبعت بدار الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين]